



استوت الطبخة، وبدأت التعبئة السياسية والإعلامية والشحن الطائفي، والتخويف من النازح واللاجئ، وشد وتر العصبية اللبنانيّة، تفرز نتائجها. العنوان المعلن لهذه الحملة هو الدفاع عن الجيش اللبناني "سياج الوطن وحامي أمنه وحدوده من الإلّهابيين". علماً أن لا أحد تعرّض للجيش بكلمة. أما المبطن والمضمّر فخطير وخبث وسلطوي واستبدادي وفتّوي، ناهيك عن رائحة العنصرية التي بدأ تفوح.

بدأت الحملة على موقع التواصل الاجتماعي تناقض مزايده في التهليل للجيش والإشادة به، وشنّم النازحين السوريين، خصوصاً في أوساط المراهقين والجهلة، بدأت تنتقل إلى وسائل الإعلام وتوسّع، ثم تلتها التعبئة في الشارع وعلى اللوحات الإعلانية. وهذا هي تدخل كل بيت، متخطيّة كل الخلافات السياسية والانتماءات الطائفية والمذهبية. الجيش لا يُنتقد ولا يُمسّ، ولا يمكن إبداء أي ملاحظةٍ تجاه ما يقوم به. ولا يجب حتى أن يُؤتى على ذكره على أي شفة أو لسان، غير التمجيل والحمد، كما في ظل الأنظمة العسكرية. أنه يقاتل ويستبسّل في مواجهة الإرهاب وتنظيماته، مثل "داعش" وجبهة النصرة المتغلّفة بين النازحين، بحسب أصحاب الحملة. حتى عندما يخطئ، وجلّ من لا يخطئ، وإذا حصل وأن أخطأ في التعاطي مع بعض من تم اعتقالهم خلال عمليات مواجهة على الحدود الشرقيّة اللبنانيّة - السورية، وأدى هذا الخطأ إلى وقوع أربع ضحايا، فمن غير المسموح أن يحتاج أحدٌ، أو أن يطالب بإجراء تحقيقٍ لكشف حقيقة ما حصل، حفاظاً على حقوق الموقوف، حتى تثبت إدانته، أو بهدف معرفة حقيقة ظروف من قضى، وحفظاً، في الوقت عينه، على دور الجيش وسمعته وحصانته.

ولأن أحداً تجرأ، وهو طرفٌ لبنانيٌّ بطبيعة الحال، ودعا إلى اعتصام رمزيٍّ سلميٍّ مُرخصٍ، تضامناً مع الموقوفين والضحايا، ومطالباً بكشف حقيقة ما حصل مع هؤلاء الأشخاص، بغضّ النظر عن جنسيتهم وانتماءاتهم، ارتفعت أصواتٌ تهدّد بالثبور وعظائم الأمور. واشرأبتُ أعناق وأبواق مأجورة ومسعورة مطلقةً حملة شعواء على النازحين السوريين،

"المعتدين على أمننا" و"المتنكرين لحسن الضيافة"، و"ناهبي خيراتنا ولقمة عيش أبنائنا" و.. و.. وحولت البروباغندا الاعتصام إلى تظاهرة معاذية للجيش اللبناني. وأعلن "ساعة الخير"، من حاقدين وبقايا أجهزة، عن تظاهرة مضادة، تضامنا مع الجيش في المكان نفسه. ووسط هذا المناخ المسموم، اندفع متهمون ليلا إلى مطاردة بعض النازحين، والاعتداء عليهم بوحشية. عندها، سارعت وزارة الداخلية إلى التحرك لضبط الأمور، قبل حصول ما لا تُحمد عقباه. وقد دفعت الواقحة بالسفير السوري في بيروت إلى حد إصدار بيانٍ يدين فيه "المعاملة السيئة التي يتعرّض لها السوريون من البعض" في لبنان؟!

الخطوة الأولى إذا إيجاد مناخٍ معاد للنازحين السوريين الذين هم بمعظمهم من معارضي النظام، ولجأوا إلى لبنان هربا من القتل ببراميل الأسد المتفجرة. ثم تسويق فكرة أن مخيمات النزوح أصبحت مخترقة من إرهابي "داعش" وجبهة النصرة الذين يتلطون بالنازحين، للاعتداء على الجيش كما يروج حزب الله منذ فترة. وبالتالي، تأليب الجيش ضد النازحين، ووضعهم في مواجهةٍ معه، بالتزامن مع إحداث مناخٍ تعبويٍ من الحقد والكراهية والعنصرية تجاه السوريين، واللعب على خلفية مخزون الذاكرة، الحديثة في مطلق الأحوال، عبر الخلط بين الشعب السوري وممارسات النظام السوري وأجهزته التي حكمت لبنان ثلاثين سنة.

الخطوة الثانية هي إيهام النازحين السوريين، في المقابل، بأنهم باتوا غير آمنين، وغير مرغوب فيهم في لبنان، وإن العودة إلى سوريا هي الخيار الأسلم لهم. ولكن، إلى أين؟ يحاول هنا حزب الله الضغط على الحكومة اللبنانية، لإجبارها على فتح حوار مع بشار، والاعتراف بشرعنته، والتنسيق معه بشأن عودة النازحين التي يضمنها هو إلى "المناطق الآمنة" التي يسيطر عليها. وطبعاً نريد أن نقتنع أنها مزحة، ولو سمة، إلا أن هذه المناورة لم تنطل على رئيس الحكومة وحلفائه من غير "الممانعين".

الخطوة الثالثة والأهم تمرير تحت دخان هذا الغطاء الكثيف والخبيث المشحون بالسموم العنصرية "معركة تحرير جرود عرسال" اللبنانية من إرهابي "النصرة" التي مهد لها حزب الله منذ أسابيع، وأطلقها فجر الجمعة 21 يوليو/ تموز الجاري. وهي معركةٌ قررها وافتعلها حزب الله بمفرده، ووضع الجيش اللبناني أمام الأمر الواقع، بعد أن تم توريطه في معارك تطهير تمهدية، اصطدم خلالها بوفاة أربعةٍ بظروف غامضةٍ من بين الذين تم توقيفهم خلال المداهمات. وقد مهدت هذه الواقعة الطريق أمام حملة التعبئة والتجييش مع الجيش، ضد النازحين. وقد مهد الطيران الحربي الأسدى لهذه المعركة منذ أكثر من أسبوع بغاراتٍ على جرود عرسال داخل الأراضي اللبنانية، فيما بدت الحكومة اللبنانية مربكةً، تلتزم الصمت حيال انتهاك طيران بشار السيادة اللبنانية. أما جماعة "الممانعة" فيبيرون هذا الانتهاك بأنه يعود إلى عدم ترسيم الحدود بين البلدين، علمًا أن من رفض كل محاولات الترسيم هو النظام السوري، سواء بال المباشر أو عبر الأمم المتحدة.

تم التحضير لمعركة عرسال بإتقان، وعلى أكثر من مستوى، أوله إخراج الجيش وإجباره على اللحاق بما يقرره حزب الله، بسبب غياب أي قرار رسمي حكومي. وثانياً، عبر إيجاد مناخٍ لبنانيٍّ حاضن ومعاد للنازحين. وثالثاً، مواكبةً من وسائل إعلام "الممانعة" التي راحت تروج المعركة، وتتكلم عن تفاصيلها وإحداثياتها قبل حصولها. واضح أن الهدف الجوهرى للمعركة أن منطقة عرسال (نحو 50 ألف نسمة من السنة) تشكل عقبةً كأداء في طريق تحرير الشريط الساحلي (دولية الأسد المزعومة؟) من دمشق نحو حمص واللاذقية.

وللمفارقة، رسمت صحفة الأخبار اللبنانية صورة عن مجريات المعركة في عددها الصادر صباحاً بالتزامن مع بدء الهجوم، واعتبرت بوضوح، ومن دون أي إخراج، أنها معركة يخوضها حزب الله والجيش السوري. وقدمت للتقرير جازمةً أن المعركة "ستنتهي قريباً بتحرير ما يزيد على 300 كم مربع من سيطرة الإرهابيين على يد المقاومة والجيش السوري،

ليتسلّم الجيش اللبناني لاحقاً الحدود اللبنانيّة - السوريّة "خالية من الإرهاب".

العربي الجديد

المصادر: